

ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

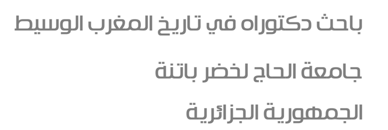
دولة تاهرت الشمال إفريقيّة وعلاقاتها مع السودان الغربي
في نهاية القرن الثامن وإلى القرن التاسع الميلادي

ترجمة وتعليق



عبد القادر مباركية
باحث دكتوراه في تاريخ المغرب الوسيط
جامعة الحاج لخضر باتنة
الجمهورية الجزائرية

Lewicki Tadeusz, «l’état nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du 8e et 9e siècle», Cahiers d’études africaines, vol.2, cahier 8, 1962, p.513 - 535.



تاريخ استلام المقال: ٢٢ أكتوبر ٢٠١٤
تاريخ قبول النشر: ٠٧ مارس ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
تاهرت، السودان الغربي، سجلماسة، الدولة الرستمية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
دولة تاهرت الشمال إفريقيّة وعلاقاتها مع السودان الغربي في نهاية القرن الثامن وإلى القرن التاسع الميلادي/ ترجمة: عبد القادر مباركية.- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة - العدد الخامس والثلاثين؛ مارس ٢٠١٧. ص١٦١ – ١٧١.

في محاضرة ألقيتها في المؤتمر الخامس والعشرين للمستشرقين في موسكو، أشرت إلى الأهمية التي قدمتها الكتب القديمة لمذهب الإباضية الإسلامي[1] لتاريخ علاقات شمال إفريقيا مع السودان الغربي والأوسط وكذلك لماضي هذه البلدان الأخيرة. هذه المصادر التي نشر منها جزء فقط، في الواقع غير معروفة لدى العلماء المهتمين بالسودان وعلاقاتها مع إفريقيا الشمالية عبر الصحراء. لا أعرف إلا دراسة واحدة عالجت هذا المشكل فيها استعمل المؤلف معطيات المصادر الإباضية. أتحدث هنا عن المقال المهم للبروفيسور يوسف شاخت المعنون "حول انتشار الأنماط المعمارية الدينية الإسلامية عبر الصحراء"، والذي فيه أخذ هذا العالم باستغلال المعطيات الموجودة في كتاب السير للشماخي- كاتب إباضي من شمال إفريقيا كتب نحو بداية القرن الرابع عشر الميلادي- حول الانتشار الإباضي في السودان الغربي.[2] من خلال مقال شاخت وكذلك محاضرتي في موسكو لم نعالج سوى جزء من الشواهد المتعلقة بالسودان وعلاقات هذا البلد مع إفريقيا الشمالية، والذي هو مطروح في الكتب الإخبارية والتراجمية للمذهب الإباضي. في المقابل جزء آخر من هذه المعلومات ليست كثيرة ما زالت تنتظر الدراسة. ضمن هذه المعلومات الأكثر حضورًا خاصةً الشواهد المعبرة عن العلاقات بين دولة تاهرت البربرية الإباضية مع ممالك السودان الغربي في نهاية القرن الثامن الميلادي وإلى القرن التاسع الميلادي. إن هذه الشواهد تبقى في رأيي هامة وهذا ما سأتناوله في هذه الدراسة.

عندما وضع الجيش العباسي النهاية لسيطرة الإباضية على القيروان سنة (٧٦١/ ٧٦٢م) وضغط على أتباعهم البربر لمغادرة شمال ووسط تونس الحالية والانسحاب لفترة من جنوب هذا البلد، وكذلك في طرابلس. ذهب عبد الرحمان بن رستم- حاكم القيروان للإمام الإباضي أبو الخطاب المعافري الفار من الجنود العباسيين- ليبحث عن ملجأ في غرب الجزائر الحالية. في هذا البلد، وفي مركز المغرب نفسه أسس ليس بعيد عن المكان القديم المحصن لتاهرت أو تيهرت (اليوم تيارت)- مدينة حافظت على الاسم نفسه- لكن المؤرخين القدامى والجغرافيين العرب غالبا ما سموها تاهرت الجديدة، لتمييزها عن المدينة القديمة. بسرعة أصبحت المدينة الجديدة المركز السياسي والديني لكل إباضية المغرب الأوسط وعرف عبد الرحمان كشيخ للقبائل البربرية الإباضية لهذا البلد. بعد وفاة إمام طرابلس الإباضي أبو حاتم الملزوزي خليفة أبي الخطاب في سنة ٧٧٢م، انهارت الدولة البربرية الإباضية الشرقية نهائيًا وبقيت القبائل البربرية الإباضية لهذه الناحية مستقلة أو شبه مستقلة عن الولاة العباسيين

بالقيروان، على سبيل المثال نفوسة، هوارة، زواغة وقبائل أخرى خضعت لسلطة عبد الرحمان بن رستم. هذا الأخير انتُخب في (٧٧٦/ ٧٧٧م) إمامًا لكل المجموعات الإباضية لإفريقيا الشمالية. والتي كانت أصول لدولة إباضية شمال إفريقية كبيرة استمرت تحت حكم خلفاء عبد الرحمان بن رستم إلى غاية ٩٠٩م. هذه المملكة الجديدة التي شملت - في فترة ازدهارها الكبير هذا يعني نحو بداية ق٩م - القسم الغربي والجنوبي للجزائر، جنوب تونس وشمال بلاد طرابلس وعاصمتها مدينة تاهرت.[٣]

بدايةً من حكم الإمام الأول بين (٧٧٦/ ٧٧٧م)، و(٧٨٤/ ٧٨٥م) أصبحت تاهرت مركز سياسي واقتصادي هام وسوق ضخم، الذي يجذب ليس فقط الكثير من البربر الإباضيين لشمال إفريقيا كلها أو بقايا السكان القدامى الرومان والمسيحيين - العجم في المصادر العربية -والذي غالبًا ما يذكر في سجلات تاهرت- لكن كذلك التجار المسلمين من القيروان، البصرة والكوفة. أخذنا هذه المعلومة من ابن الصغير، مسلم أجنبي عن المذهب الإباضي، سكن تاهرت خلال حكم آخر أئمة العائلة الرستمية والذي ألف نحو سنة (٩٠٢/ ٩٠٣م) تاريخًا للمدينة.[٤] من خلال هذا المؤلف الذي اعتمد كثيرًا على الروايات المحلية، من بينها روايات الأمراء من الدم الرستمي. لقد تطورت تاهرت سريعًا خلال السنوات الأولى من حكم عبد الرحمان بن رستم، هذا يعني نحو (٧٧٦/ ٧٧٧- ٧٨٠م).

لاحظ ما قاله ابن الصغير:[٥]

"واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارًا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجدهم القرويين ورحبتهم[٦] وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع بلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر، والعمارة زائدة والناس والتجار من الأقطار تاجرون" [النص مأخوذ من: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر، المطبوعات الجميلة، ١٩٨٦، ص:٣١-٣٢].

هذه الشهادة المنقولة من طرف ابن الصغير، إخباري أجنبي عن المذهب الإباضي فموقفه من الأئمة الرستميين، والروايات المقتبسة من الأوساط الإباضية كانت دون شك خاضعة لنقده الصارم، مثّل تأول وثيقة ليس فقط لمدينة تاهرت التي أصبحت إذا أخذنا بكلام ابن الصغير واحدة من الأسواق المهمة لشمال إفريقيا، لكن كذلك لتاريخ تجارة هذه المدينة مع السودان الغربي عبر الصحراء. في الواقع التاريخ المشار إليه من طرف ابن الصغير بصفة تقريبية فقط مثّل العلاقات الأولى بين تاهرت والسودان، وكذلك أقدم تاريخ كرنولوجي مؤكد والذي عولج في العلاقات التجارية للمغرب مع السودان الغربي في الفترة العربية.

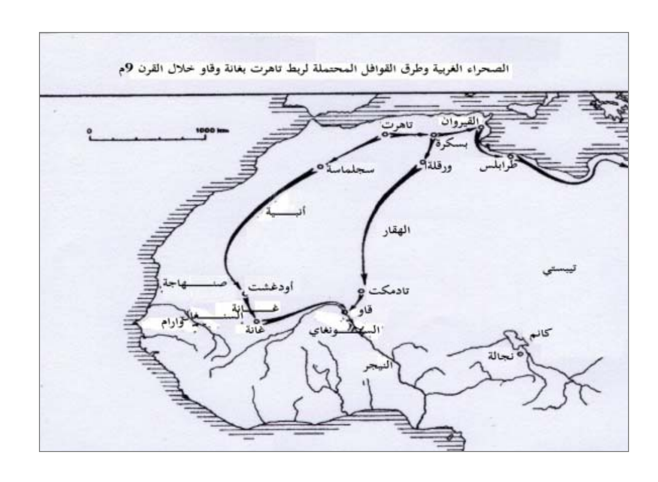
إنها سابقة لأكثر من مئة سنة عن الفترة التي كتب فيها الجغرافي والمؤرخ العربي، اليعقوبي شهادته متضمنة في كتابه البلدان، كتب نحو سنة (٨٩١/ ٨٩٢م) وعالج العلاقات التجارية بين مدينة سجلماسة (في تافلالت على الضفة اليسارية لوادي زيز في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى –اليوم آثار-) والسودان الغربي، وإلى هنا تعتبر حاليًا كأقدم معلومة معروفة عن التجارة الصحراوية في الفترة الإسلامية.[٧] ينتج كذلك من رواية ابن الصغير أن مدينة تاهرت كانت تلعب دور جد مهم في هذه التجارة نحو (٧٧٦/ ٧٧٧-٧٨٠م).

لم يخبرنا ابن الصغير عن أسماء البلدان السودانية التي يتجه إليها تجار تاهرت، لكن دون شك يتعلق الأمر قبل كل شيء بالسودان الغربي، ومن الممكن السودان الأوسط. في الفترة التي تكلم فيها لم يوجد في هذا القسم من السودان سوى دولتين أو ثلاث وهي كل من غانة ووارامو من الممكن الدولة المسمّاة نخلة. وجدنا هذه المعلومة عند الفلكي والجغرافي العربي الفزاري الذي وضع في فترة حكم إدريس الأول مؤسس العائلة الحاكمة الإدريسية في المغرب الأقصى (٧٨٨-٧٩٣)، "لمحة عن المساحة والأبعاد المتعلقة بالبلدان (يدخل على الأرجح في مؤلف واسع جدًا اليوم مفقود) والتي فيها تحدث عن الظروف السياسة في السودان، مشيرًا إلى أسماء كل الممالك الموجودة ومقدما أبعادها. عرفنا هذه الوثيقة المهمة بفضل المؤرخ العربي المسعودي والذي تحدث عنها في مؤلف معنون بمروج الذهب كتبه نحو٩٥٦م.[٨]

من خلال الفزاري مساحة وارام مملكة حسب (ج. ماركار) تشغل المجالات الواقعة بنواحي مصب السنغال[٩] تتكون من مئتي فرسخ (بالعربية الفرسخ) على ثمانين فرسخ ومثلها لنخلة بالنسبة لـ: نجلة أو نجالة تقرأ نقلة أو نقالة ؟)[١٠] والتي حسب رأيي تشغل ناحية مدينة نجالة القديمة في شمال بورنو[١١] مساحتها ١٢٠ فرسخ على ٦٠ فرسخ. بالنسبة لدولة غانا (بلد الذهب) مثلما يسميها الفزاري، أبعاد هذه المملكة هي ألف فرسخ على ثمانين[١٢]. الأرقام التي قدمها الفزاري دون شك مبالغ فيها وناتجة على الأرجح عن سوء فهم. في الواقع نعتقد أن هذا المؤلف الذي أوصلنا إلى أبعاد كل البلدان المعروفة من طرف العرب جزء منها بالفرسخ (١ فرسخ = حوالي ٦ كم) وجزء منها بالميل العربي (ميل = حوالي ٢كم)، وهو قياس الطول الأكثر استعمالاً في إفريقيا الشمالية من الفراسخ، لقد عالج هذين القياسين مثل المتساويين وما قدم بالنسبة للمغرب والسودان من أرقام كلها خيالية. إذا قبلنا مثل هذا الخطأ في حسابات الفزاري سنجد مساحة ٤٠٠كم على ١٦٠كم بالنسبة لمملكة وارام [الباحث يقول أن الفزاري عالج المقياسين أي الفرسخ والميل كالمتساويين فلماذا لا يفترض إذن أن مساحة ورام بالأخذ بالفرسخ تكون ١٢٠٠كم على ٤٨٠كم] ما يوافق جيدًا أبعاد المجالات الواقعة في جنوب السنغال الأدنى، ومساحة ٢٤٠كم على ١٦٠ كم لبلد نخلة (نجلة، نجالة، نقالة) وأبعاد ٢٠٠٠كم على ١٦٠ كم لدولة غانا.

من خلال هذه المعطيات ستشغل دولة غانا نحو نهاية القرن الثمن الميلادي كل البلد الواقع على حافة الصحراء والسودان الغربي في شرق السنغال الحالي، وفي غرب حوض بحيرة التشاد. وكذلك إذا صدقنا الفزاري سلطة ملوك غانا تنبسط خارج مجالات غانا، بكل وضوح قال (مجال قبيلة السونينكي مع عاصمة غانا، اليوم آثار كومبي صالح الواقعة على الحدود الجنوبية لموريتانيا الحالية في جنوب شرق تيشيت)،[١٣] على بلد السونغاي للنيجر الأوسط وكذلك على البلد الصحراوي وشبه الصحراوي الواقع شمال شرق وشرق منعطف النيجر نحو أدرار إيفوغاس ونحو إير. في كل السودان الغربي والأوسط لا يوجد إلا دولتين صغيرتين انفلتتا في نهاية القرن الثامن الميلادي من سيطرة غانا. وهما مملكة وارام في الغرب وبلد نخلة (نجالة، نقلة) في الشرق. قبل كل شيء يظهر أنه نحو إمبراطورية غانا التي كانت في نواحي سنة ٧٨٠م توجه "الطرق المؤدية إلى السودان" التي تحدث عنها ابن الصغير والتي كانت نقطة انطلاقها مدينة تاهرت.

الوحدة السياسية للسودان الغربي تحت سيادة ملوك غانا والتي تحدث عنها الفزاري نحو (٧٨٨-٧٩٣م)، مئة سنة بعد ذلك لم تعدّ موجودة في الفترة التي كتب فيها اليعقوبي. المعلومات حول السودان التي قدمها هذا المؤلف في كتابه كتاب البلدان، كتبه نحو (٨٩١/٨٩٢م) وخاصةً في مؤلفه التاريخي المعنون "التاريخ" أنهاه على الأرجح نحو (٩٠٤-٩٠٥م)، جمعه حسب كل الاحتمالات خلال جولته في المغرب والتي بقي فيها بعض الزمن بعد (٨٧٣-٨٧٤م)،[١٤] إذن تقريبًا مئة سنة بعد الفزاري. جدول السودان الغربي الذي قدمه اليعقوبي في كتابه التاريخ يختلف عن الذي قدمه الفزاري. من خلال اليعقوبي هذه الناحية مقسمة بين العديد من الممالك سواء كانت كبيرة أو صغيرة بجانب دولة غانا، ضُخمت من طرف هذا المؤلف وكأنها دائما قوية، وقد ظهرت إمبراطورية أخرى كبيرة زنجية وهي دولة الكوكو (الكَوْكَوْ) والتي كانت في هذه الفترة استشهد بكلام اليعقوبي "الأقوى من بين كل ممالك السودان".[١٥] جاء اسم هذه الدولة من اسم مدينة كوكو (تقرأ كَوْكَوkawkaw) والتي كانت عاصمتها حسب هذا الكاتب.[١٦] إنها مذكورة سابقًا في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي من طرف الفلكي والجغرافي العربي محمد بن موسى الخوارزمي (ت. نحو ٨٤٦-٨٤٧م).[١٧] عادةً ما نحدد مدينة كوكو أ وكَوْكَو مع مدينة ڨاو على النيجر وهي المركز السياسي القديم لقبيلة السونغاي.[١٨] نحو نهاية القرن التاسع الميلادي كان ملك ڨاو حسب اليعقوبي سيد لكل البلدان الواقعة حول هذه المدينة، إذن القسم الشرقي للمجال الخاضع مئة سنة قبل ذلك لملك غانا. استشهد مؤلف التاريخ بأسماء ثمان ممالك استقلت عن ملك ڨاو[١٩] من الصعب تحديدها فحسب كل الاحتمالات يجب وضعها في الشمال الغربي، في الشمال، وفي الشمال الشرقي لڨاو.[٢٠]



نجد كذلك اسم ڨاو عند مؤلفين عرب آخرين قروسطيين مثل البكري (نحو١٠٦٨م)،[٢١] الإدريسي (١١٥٤م)،[٢٢] وابن بطوطة (ق١٤م)[٢٣] الذين قدموا لنا تفاصيل مهمة حول هذه المدينة وسكانها، وكذلك حول مملكة ڨاو. ابن بطوطة الذي زار هذه المدينة في سنة ١٣٥٣م كتب اسمها كَوْكَوْ[٢٤] أو جوجو (جَوْجَوْ).[٢٥] الصوت الناتج من طرف ابن بطوطة في هذا الاسم ب: (ك) أو(ج) لا نستطيع أن نعرفه مثل (ڨ) أصلي (يجب دائمًا أن نأخذ بالحسبان النطق (ك=ج) وفي بعض الحالات (ج=ڨ) عند المؤلفين العرب ذوي أصول شمال إفريقية ومن إسبانيا الإسلامية).[٢٦] يمكننا أن نضع أن النطق الصحيح للاسم المكتوب كَوْكَوْ أو جَوْجَوْ هو ڨَوْڨَوْ أو ڨَاوْڨَاوْ. هذه التركيبة الأخيرة المفترضة معللة كون أن الواو العربي يعود غالبًا على الحرف "و"، أو "أُو" خاصةً في الكلمات ذات الأصل الأجنبي.[٢٧] التركيبة المفترضة ڨَاوْڨَاوْ هي القريبة من اسم المدينة ڨاو المستعمل من طرف ليون الإفريقي (كُتب نحو ١٥٢٦م)،[٢٨] وهيڨاوڨا أو ڨاڨو.[٢٩] يعتقد (ج.ماركار) دون شك تبعًا لرأي (هـ. بارث) أن كَوْكَوْ (الكَوْكَوْ) عند الجغرافيين العرب القدامى يجب قراءتها ڨوڨو (الڨوڨو).[٣٠] هذه الكتابة لا تظهر لي مؤسَّسَة.

لا نعلم إذا كانت مدينة ڨاو، في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي في الفترة التي ظهرت فيها لأول مرة في مؤلف محمد بن موسى الخوارزمي، عاصمة لدولة مستقلة عن دولة غانا، كما هو الحال نصف قرن بعد ذلك في فترة اليعقوبي. خلال ذلك دون شك أن ڨاو كانت في بدايات القرن التاسع الميلادي مركز كبير للتجارة الصحراوية الذي لفت انتباه رستميي تاهرت. نعلم هذا بفضل رواية متعلقة بالإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب متوفرة في مجموعين للسيرة إباضيين من شمال إفريقيا: مجموع الوسياني ومجموع الدرجيني. لا يمكن أبدًا الاستشهاد هنا دون استعمال مقاطع من هذين المؤلفين الذين قدما هذه الرواية. لقد تضمنا معلومات مهمة حول علاقات مدينة تاهرت مع ڨاو في السنوات الأولى من القرن التاسع الميلادي، على الأرجح ٢٠ أو٣٠ سنة قبل الإشارة إلى ڨاو في كتاب محمد بن موسى الخوارزمي (توفي نحو٨٤٦-٨٤٧م)، وتعتبر إلى هنا كأقدم كرونولوجيا في تاريخ

عاصمة السونغاي. سنختبر هذه الرواية التي بقيت إلى اليوم مجهولة. نبدأ بالمؤلفين الذين أوردوها.

أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، من أصول بربرية كما ينتج من نسبته، ينحدر من فرع قبيلة زناتة وسيان (كذلك: واسين) الذي استوطن حسب ابن خلدون (ق١٤م) الجنوب التونسي في ضواحي مدينة توزور.[٣١] إنه مؤلف كتاب السير، مجموع سير شخصيات إباضية مشهورة ذات أصول شمال إفريقية. نُسخ هذا الكتاب في الحقيقة نادرة. وجد الفقيد المستعرب البولوني (ز.سمڤورزوفتسكي) واحدة في ميزاب سنة ١٩١٢ في مخطوط احتوى فضلاً عن مؤلف الوسياني مؤلفين آخرين في السيرة. لقد نسخ سموڤورزوفتسكي كل هذا المخطوط ونقل هذه النسخة إلى بولونيا. إلى غاية حرب (١٩٣٩-١٩٤٥) وضعتفي مجموعة المخطوطات الإباضية في لفوف (رقم ٢٧٧ ضمن المجموعة)، حاليًا موجودة في كراكوفي. تضم ٢٠٨ ورقة (٣١٦ صفحة) غير مثبتة مقاييسها (٢٧×٢١سم)، و(٢٥×١٨سم) بخط مغربي حديث. تعتبر عمل للعديد من النساخ الإباضيين وقد عرفت كذلك يد سموڤورسوفتسكي. لقد شغل كتاب السير للوسياني القسم الأول من هذه النسخة المخطوطة أي الصفحات (من١ إلى١٨٩). من خلال ما قيل في موضع من كتاب السير نقل الوسياني في هذا المؤلف خاصةً الروايات التي جمعها أستاذه أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي والذي نقلها من طرف عالم إباضي آخر مولود في جنوب تونس وهو أبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني (النصف الثاني من القرن١١م). دون أدنى شك استخدم الوسياني كذلك بعض المصادر المكتوبة اليوم مفقودة.[٣٢]

أصبح كتاب السير للوسياني واحدًا من المصادر الأساسية لمؤلف آخر مخصص للشخصيات الإباضية المشهورة وهو كتاب طبقات المشائخ لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، هذا الأخير استشهد بكتاب السير في ثلاثين موضعًا من كتابه. عاش الدرجييني في القرن الثالث عشر الميلادي، انحدر من عائلة إباضية عالمة ومتدينة أصلها من جبل نفوسة في طرابلس والتي استقرت في تاريخ غير محدد في جنوب تونس، في مدينة صغيرة من هذا البلد تعرف بدَرْجين السفلى الجديدة تقع غير بعيدة عن نفطة، وهي التي ولد فيها مؤلف كتاب طبقات المشائخ. درس في توزر وسكن بعض الوقت جزيرة جربة وواحة ورقلة. كتابه التراجمي الذي شغل مكانة مشرفة في الأدب الإباضي بشمال إفريقيا، كتبه على الأرجح نحو منتصف القرن الثالث عشر الميلادي. يتكون من قسمين الأول ليس إلا إعادة كتابة لكتاب السيرة لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني مؤرخ من شمال إفريقيا (ق١١-١٢م) أصله من ورقلة، في حين أن القسم الثاني وهو العمل الأصلي للدرجيني يضم مجموع تراجمي لحوالي (١٣٠) شخصية إباضية بارزة مقسم إلى (١٢) قسم (بالعربية طبقة) تشغل كل واحدة فترة (٥٠) سنة. عدد المصادر المستعملة من طرف الدرجيني معتبر جدًا. علاوة على كتاب السير للوسياني، فقد استخدم مؤلفات تاريخية وتراجمية لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (توفي في ١٠٧٨/ ١٠٧٩م) وأبوعمر عثمان بن خليفة السوفي وأبو نوح (ق١٢م). لقد استخدم كذلك روايات ميمون بن حمودي (الذي عاش في النصف الأول من ق١١م) وأبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني وكذلك رواة آخرين.[٣٣]

لم نعرف كتاب طبقات المشائخ إلا من خلال نسخ مخطوطة جد نادرة، لا يوجد أي نشر موجود الآن من هذا المؤلف الضخم. من هذه المخطوطات وضعت تحت تصرفي نسخة تمثل جزء من مجموع ز. سموڤورزفتسكي (رقم ٢٧٥ من هذه المجموعة) والتي لها قدمت وصفا في إحدى دراساتي السابقة.[٣٤] يتعلق الأمر بنسخة حديثة، نوعًا ما جيدة، عُثر عليها في مزاب نحو (١٩٢٥/ ١٩٢٦م)، من خلال مخطوط كتب في ١٢٤١هـ (١٨٢٥-١٨٢٦م). نقلها سموڤورفتسكي من مزاب في ١٩٢٦م.

الإشارات لمدينة (أودولة) ڤاو توجد -مثلما قلت سابقًا- في النشرات التراجمية القصيرة التي أوردها الوسياني والدرجيني في مؤلفيهما عن أفلح بن عبد الوهاب ثالث إمام رستمي لتاهرت. استعمل الدرجيني والوسياني في نصوصهم التراجمية الكثير من المصادر المكتوبة وكذلك تقارير الكثير من الرواة المنتمين لفترة غالبًا ما تكون قديمة جدًا ومنقولة من طرف أجيال من نقلة الفترة الرستمية. لاحظ أولاً النص العربي والترجمة الفرنسية للرواية التي تهمنا من خلال الصيغة التي قدمها الوسياني:[٣٥]

وذكر..... أنه لما أراد السفر إلى جوجو فلما برز رحله خرج إليه الإمام عبد الوهاب والده ..... قال له ارجع فرجع. [الترجمة الفرنسية لهذه الرواية]

الرواية نفسها أوردها الدرجيني بصيغة مختلفة قليلاً:[٣٦]

ذكر....أنه قد كان أراد السفر إلى جوجو.... فأمره أبوه بالرجوع عن السفر.... فرجع بعد أن تجهز وأبرز رحله. [الترجمة الفرنسية للرواية]

رأينا أن روايات الوسياني والدرجيني المتعلقة بالرحلة الملغاة لأفلح بن عبد الوهاب تقريبًا متماثلة. يمكن الاعتقاد هنا أن المؤلف الثاني استخدم الصيغة التي أوردها الوسياني وصححها بشكل ملموس. من جهة أخرى ليس من المستحيل أن الوسياني والدرجيني استخدما مصدر محلي على الأرجح مجموع تراجمي قديم غير موجود حاليًا.

كتب اسم مدينة جوجوفي رواية الدرجيني بصورة مماثلة لتلك الموجودة عند ابن بطوطة،[٣٧] ومن الممكن كتابتها جَوْجَو وتقرأ جَاوْجاو أو ڤاوڤاو هذا دون شك ڤاو الموجودة على النيجر [النهر] عاصمة دولة بهذا الاسم، الأمر الذي طرحناه سابقًا. في كتاب السير للوسياني كتب هذا الاسم جوجوا (جَوْجَوْا). يظهر أن الحرف الأخير لهذه الكتابة المتغيرة (ألف) ليس إلا ألف الإطلاق التي لا تنطق في الكتابة العربية القديمة للكلمات الأجنبية الألف غير المنطوق يوضع في نهاية الكلمة حتى يتبين أن الحرف السابق "و" ينطق "أو". الكثير من الأمثلة لكتابة مشابهة قدمها (ت.كوفالسكي)، في طبعته لعلاقة إبراهيم بن يعقوب.[٣٨] إنه من

ترجمات

المهم أن نجد كذلك ألف نهائية في اسم ڤاو عند البكري: كوكوا[٣٩] بالنسبة لـ: كَوْكَوْ، ڤاوڤاو Kawkaw – Gaogao.

يستخلص من روايات الوسياني والدرجيني أن أفلح بن عبد الوهاب قرر القيام برحلة إلى ڤاو وأنه لم ينفذ هذا المشروع تبعًا لأمر والده الإمام عبد الوهاب، وكذلك صمم مشروع هذه الغزوة في حياة والده. نعلم أن الإمام عبد الوهاب حكم مملكة تاهرت لمدة (٤٠) سنة من (٧٨٤/ ٧٨٥م) إلى (٨٢٣/ ٨٢٤م). إذن هذا يعني قبل التاريخ الأخير الذي قرر فيه أفلح فكرة الذهاب إلى ڤاو. هذا الإثبات له من الأهمية الكثير بحيث يسمح لنا بربط تاريخ ڤاوو علاقات هذه المدينة (أو هذه المملكة) مع إفريقيا الشمالية ببداية القرن التاسع الميلادي. دون شك فإن جذور مدينة ڤاو تسبق كثيرًا القرن التاسع الميلادي، وأن وقت كبير مضى بين هذه الفترة ومرحلة تأسيس هذه المدينة. كذلك أنا أميل إلى الافتراض مع (م.دولافوسوج. روش) أنها تأسست في القرن السابع الميلادي.[٤٠] في بداية القرن التاسع الميلادي كانت ڤاو دون شك سوق هام يجذب التجار البربر والعرب من المغرب عبر الصحراء. وهذا دون شك بفضل ازدهار التجارة نحو بداية القرن التاسع الميلادي، حيث في هذه الفترة في تاهرت نعرف وسطاء ربطوا عاصمة الرستميين مع ڤاو. هذه المعرفة كان من الممكن أن تكون جد كافية لو أن ابن الإمام وريث العرش قام بالذهاب في رحلة نحو هذا المكان البعيد. لا نعرف دوافع أفلح بن عبد الوهاب: فضول خالص لزيارة السودان أم هناك أسباب أكثر جدية؟

ليس من المستحيل في بدايات القرن التاسع الميلادي أن تكون مدينة ڤاو عاصمة لمملكة مستقلة عن غانا والتي حدودها لا تختلف كثيرًا عن تلك التي نعرفها من خلال وصف السودان المقدم من طرف اليعقوبي نحو سنة (٨٩١/ ٨٩٢م). إذا صدقنا هذا المؤلف سلطة ملك ڤاو ستمتد على ثمانية ممالك أخرى والتي استشهد اليعقوبي بأسمائها. من هذه الأسماء نجح (ج. ماركار) في التعريف بطريقة كافية على الأقل بثلاثة وهي الحازبين والتي هي نفسها آزبن (آير الحالية)،[٤١] ماراندا اسم لمدينة تقع شمال آزبن على الطريق التجاري القديم الرابط بين مدن غانا وڤاو وإلى مصر طبقًا لما قاله لنا الجغرافي العربي ابن الفقيه، كتب نحو٩٠٣م.[٤٢] وفي النهاية مملكة صنهاجة البربرية "زناڤة" التي تشغل قسم من الصحراء الغربية[٤٣] والتي كانت عاصمتها حسب كل الاحتمالات مدينة أودغست الواقعة شمال مدينة غانا في القسم الجنوبي من موريتانيا الحالية. وكذلك في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي أصبح ملك ڤاو يراقب الطرق الصحراوية الرئيسة التي تربط السودان الغربي بالمغرب ومصر. إذا وجدت وضعية سياسية مشابهة قبل (٨٢٣/ ٨٢٤م) في ذات الوقت أين قرر أفلح بن عبد الوهاب فكرة الذهاب إلى ڤاو فدوافع مشروع مماثل سهلة التنفيذ. على الأرجح يتعلق الأمر بتنظيم العلاقات التجارية لتاهرت مع دولة ڤاو، بالتأكيد على تحالف مقرر مع ملك هذه الدولة، سيد قسم كبير جدًا من السودان الغربي وكذلك الصحراء الجنوبية والغربية. تحالف مماثل لم يعمل إلا على مواصلة السياسة الاقتصادية لأئمة تاهرت والتي ضمنت سلفًا، بفضل زواج سياسي بين العائلة الرستمية وعائلة الأئمة الصفريين في سجلماسة بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى الحالي، تجارة حرة في جنوب غرب بلاد المغرب وفي المنطقة الشمالية للصحراء القريبة من المغرب.[٤٤]

يظهر من روايات الوسياني والدرجيني أن أفلح بن عبد الوهاب لم ينجح في تنفيذ مشروعه للدخول في علاقات مباشرة مع حاكم ڤاو (إذا كان موجود سلفًا) في حياة والده. لكن يظهر لنا جليًا أنه استمر في اهتمامه بڤاو طيلة حكمه الطويل (٨٢٣/ ٨٢٤م - ٨٧١/ ٨٧٢م) لهذه الدولة وهذا مطروح في رواية لسفارة مرسلة من طرف أفلح بن عبد الوهاب إلى السودان، رواية وجدناها عند ابن الصغير.

هذه الرواية تتعلق بمحمد بن عرفة واحد من الأعيان الأكثر تأثير وغنى في تاهرت والذي يحظى بشعبية كبيرة لدى سكان هذه المدينة. له أخت (أو ابنة) تزوجها الإمام الرستمي أبوبكر بن أفلح ابن وخليفة أفلح الذي حكم ابتداءً من (٨٧١/ ٨٧٢م).[٤٥] اعتقد هذا الأمير أن السلطة التي يلعبها محمد بن عرفة لدى سكان تاهرت خطيرة بالنسبة للعائلة الرستمية فقام بقتله في السنة نفسها (٨٧١/ ٨٧٢م). لإظهار المزايا الحسنة لمحمد بن عرفة حكى ابن الصغير حكاية تتعلق به والتي حدثت في فترة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب، هذا يعني بين (٨٢٣/ ٨٢٤م)، و(٨٧١/ ٨٧٢م)، على الأرجح في نهاية هذه الفترة. انظر الترجمة الفرنسية لهذه الرواية:[٤٦]

[... وكان في البلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة، وكان وسيمًا جميلاً جوادًا سمحًا، وكان قد وفد على ملك السودان بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب، فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته، إذا ركب الخيل فهز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالعربية لأن لا مخرج للامساك إنما هو فيما بين القاف والكاف والجيم، إلا أن معناها "أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال....].(ابن الصغير، أخبار، ص:٦٢)

أسس ابن الصغير، وباعترافه، روايته على علاقات مع (عدد من الإباضيين وآخرين) والذي روى هذه القصة بتفاصيلها للأسف لم يشر إلى اسم ملك السودان وكذلك اسم بلده وعاصمته. حسب كل الاحتمالات يتعلق الأمر بملك ڤاو، دولة ومدينة مثلما رأينا سابقا اهتم بها أفلح بن عبد الوهاب منذ زمن وذلك منذ حياة والده قبل (٨٢٣/ ٨٢٤م). من الممكن وضع تعريف للكلمة أو التعجب "في لغة السودان" والمتضمن للحرف الوسيط بين الكاف والقاف والجيم هذا يعني ظهور "ڤ" هل نأخذها هنا كلفظ من لغة السونغاي أو أن هذا التعجب جاء من لغة السونينكي، لغة سكان غانا أولسان آخر للسودان الغربي.

نعرف جيدًا موضوع طرق الاتصال التي تربط مدينة تاهرت بغانا وڤاو عبر الصحراء في فترة ازدهار تجارة عاصمة الدولة الرستمية مع السودان الغربي. يظهر أنه يوجد في هذه الفترة طريقين رئيسين ربطا تاهرت بمدن غانا وڤاو. الأول يمر عبر سجلماسة وأودغست في حين أن مراحل الآخر وهي وارجلان

أوواركلان (اليوم ورقلة) والمدينة التجارية تادمكة (تادمكت)، اليوم الآثار المسماة السوق الواقعة في جنوب الصحراء شمال شرق ڤاو. عرفنا هذين الطريقين خاصة بفضل معطيات اليعقوبي، ابن حوقل والبكري، نمر إلى الشهادات المتعلقة بجغرافيين آخرين، مؤرخين ورحالة عرب آخرين.

نبدأ بطرق: تاهرت- سجلماسة- أودغست- غانا. المؤلف العربي الأول الذي وصف هذا الطريق في مؤلفه الجغرافي "كتاب البلدان" هو اليعقوبي، كما قلت في الأعلى كتب نحو (٨٩١/٨٩٢م).[٤٧] حسب هذا الكاتب مسافة عشرة أيام من السير تفصل مدينة تاهرت عن مدينة سجلماسة، المرحلة الوسيطة هي مدينة أوزاكا على مسيرة ثلاثة أيام من تاهرت وسبعة أيام من سجلماسة. عالج كذلك الطريق الرابط بين تاهرت وسجلماسة الكتاب الجغرافي للاصطخري "كاتب في ٩٥١م"[٤٨] فيه مواضع عالجت تاهرت مؤرخة بفترة سابقة لانهيار دولة الرستميين على الأرجح في نهاية القرن التاسع الميلادي أو السنوات الأولى من القرن العاشر الميلادي. تبعًا للاصطخري المسافة التي تفصل، عبر الصحراء، تاهرت عن سجلماسة كبيرة جدًا عن تلك التي قدمها اليعقوبي، فهي ترمز إلى ٥٠ (في مخطوط آخر لهذا الكتاب إلى٢٥) مرحلة من السير.[٤٩] هل يتعلق الأمر بخطأ بسيط أم أنه يجب افتراض وجود طريقين مختلفين يربطان عاصمة الرستميين بمدينة سجلماسة؟

تقع سجلماسة في بلد تافلالت على الضفة اليسرى لوادي زيز أين تستمر آثاره موجودة إلى اليوم، تمثل نقطة انطلاق لقسم كبير من القوافل التي تتجه عبر الصحراء الغربية إلى السودان الغربي، (بلد الذهب)عند الجغرافيين العرب القدامى. من أجل هذا الاصطخري في موضع من كتابه عاد إلى زمن الرستميين وقال أن هذه المدينة "مجاورة لمناجم الذهب".[٥٠] البكري نفسه (كتب نحو١٠٦٨م) جعل موضع سجلماسة "في مدخل الصحراء" أين "يتم الانطلاق منها للذهاب إلى غانا ببلاد السودان".[٥١] تحدث اليعقوبي أقدم كاتب عربي وصف طريق تاهرت، سجلماسة، السودان الغربي، عن الدور الذي لعبته سجلماسة كنقطة انطلاق من المغرب نحو السودان.[٥٢] كانت سجلماسة عاصمة لدولة بربرية حكمها في (ق٨/ ١٠م)، أمراء من المذهب الصفري فرع من المذهب الخارجي والذي يمثل الإباضيون فرعًا منه. حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي ربح الصفريون أغلبية قبائل شمال إفريقيا البربرية المنشقة عن الخلافة العربية لكنها ضعفت بسبب الحروب الدموية التي خاضوها ضد العرب وكذلك ضد الإباضيين. استمرت السيادة التي فرضوها على القبائل البربرية لهؤلاء الأخيرين، باستثناء قبيلة مكناسة البربرية المستوطنة في سجلماسة حوالي (٧٥٧/ ٧٥٨م) أين نظم الصفريون دولة مستقلة، كانت هذه المملكة ضخمة حسب الفزاري ارتفعت حدودها في نهاية القرن الثامن الميلادي إلى ٤٠٠ فرسخ (أو ميل عربي؟) على٨٠ فرسخًا.

حكم الرؤساء الصفريين إلى غاية القرن العاشر الميلادي.[٥٣] على الرغم من الفروقات العقدية فإن العلاقات بين العائلة الإباضية في تاهرت والأمراء الصفريين في سجلماسة بقيت في عهد الأئمة الرستميين الأوائل حميمية جدًا. في الواقع لاحظ المؤرخون العرب تحالف عن طريق الزواج بين هاتين العائلتين في نهاية القرن الثامن الميلادي أو في بداية القرن التاسع الميلادي. يتمثل هنا في زواج مدرار بن شيخ الصفرية أبو منصور اليسع بأروى ابنة عبد الرحمان بن رستم إمام تاهرت.[٥٤] هذا دون شك للدور الكبير الذي تلعبه مدينة سجلماسة في تجارة شمال إفريقيا مع السودان الغربي والذي كان سببًا لهذا التقارب. كان هذا التحالف على الأرجح شهادة لحكمة أئمة تاهرت الأوائل أسياد المدينة التجارية الكبيرة التي ينطلق منها التجار إلى أسواق السودان الغربي مجبرين في غالب الأحيان على المرور بسجلماسة.

بعد تجاوز الحدود الجنوبية لدولة سجلماسة القوافل التي – من تاهرت ومدن أخرى قريبة– تنطلق إلى السودان الغربي عبر مجال القبيلة البربرية البدوية المسماة أنبية (اسم غير محقق) فرع من قبيلة صنهاجة (زناقة) التي تشغل القسم الأكبر من الصحراء الغربية. من خلال اليعقوبي مسافة ٥٠ يومًا من السير تفصل مدينة سجلماسة على أرض (أو من الممكن المركز السياسي؟) هذه القبيلة الغامضة أو بالأحرى فدرالية القبائل البربرية.[٥٥] فدرالية أنبية موجودة سلفًا في زمن الفزاري (كتب نحو ٧٨٨م). هذا الكاتب وضع دولة كبيرة بهذا الاسم بين مملكة سجلماسة والسودان الغربي.[٥٦]

وجدنا بعض التفاصيل حول أنبية عند ابن الفقيه (كتب نحو٩٠٣م).حسب هذا الجغرافي أين المعلومات حول إفريقيا الشمالية تعود إلى منتصف القرن التاسع الميلادي،" بلد أنبية قسم من السوس الأقصى {في أقصى جنوب المغرب الأقصى الحالي} ويقع على مسافة سبعين ليلة من السير عبر السهول والصحراء"،[٥٧] هذا يتعلق إذن بفدرالية ضمت غالبية القبائل البربرية البدوية للصحراء الغربية والموجودة في القرن الثامن وإلى القرن التاسع الميلادي. من خلال (ج.ماركار) تدخل في فدرالية أنبية قبائل مسوفة، لمتونة، وجدالة التي كانت تعيش في البدو بالصحراء الغربية.[٥٨]

بعد عبور بلد أنبية نصل حسب اليعقوبي إلى الناحية المسماة غسط التي تمثل مملكة وثنية وفيها الملك يقوم برحلات في بلاد السودان. سكان هذا الإقليم لهم مساكن ثابتة.[٥٩] يتعلق هذا الأمر بالمدينة والمملكة البربرية المعروفة كثيرًا عند المؤلفين العرب القدامى تحت اسم أودغست. كانت مركز تجاري مهم تبعد على مسيرة عشرة أيام من غانا. وجدنا هذه المعلومة عند الجغرافي والرحالة العربي ابن حوقل الذي مر عبر أودغست في ٣٤٠هـ (٩٥١/٩٥٢م) في رحلته من سجلماسة إلى غانا.[٦٠] من خلال الجغرافي نفسه مسيرة شهرين تفصل أودغست عن مدينة سجلماسة،[٦١] وكذلك حسب عشرة أيام بين أودغست والمركز السياسي لأنبية، إذن مسافة خمسين يوما بين سجلماسة وأنبية التي قدمها اليعقوبي صحيحة. تبعًا للبكري تبعد أودغست عن مدينة غانا بمسيرة ١٥ يومًا.[٦٢] ومن خلال الإدريسي جعل مسيرة ١٢ يومًا بين أودغست (التي أخذت عند هذا الجغرافي اسم أودغشت) وغانا.[٦٣]

ترجمات

حسب موضع من كتاب العزيزي كتاب الجغرافي العربي المهلبي (كتب نحوق١٠م) المنقول في تقويم البلدان كتاب جغرافي لأبي الفداء (ق١٥م) أودغشت اسم لمنطقة واسعة وكذلك عاصمة لهذا البلد تقع على مسافة أكثر من أربعين يومًا سيرًا من سجلماسة عبر الرمال والصحاري. من خلال موضع آخر من هذا المصدر "تحتوي أودغست على أسواق جميلة..... ويقصدها المسافرون من كل جهة، السكان مسلمون. رئيس البلد رجل من قبيلة صنهاجة البربرية. في الشرق يمتد بلد الزنوج.[٦٤] في كتابه المسالك والممالك قدم البكري كذلك وصف مهم لمملكة ومدينة أودغست. حسب هذا الجغرافي كانت دولة أودغست من ٩٦١إلى ٩٧١م تحت حكم الملك المسمى تين ياروتان أصله من قبيلة صنهاجة. على الأرجح نفسه المذكور عند المهلبي حيث تمتد إمبراطوريته على "بلد آهل طوله وعرضه مسيرة شهرين". من خلال الموضع نفسه من كتاب البكري "أكثر من عشرين ملك زنجي يعرفونه ويخضعون لسلطته."[٦٥] كانت مدينة أودغشت حسب البكري آهلة وكبيرة وتضم سكان أغنياء وكثيرون يتكونون من العرب والبربر (منهم من نفوسة، لواتة، ونفزاوة، قبائل بربرية إباضية)، مثلما نعرفه بفضل مؤلفين آخرين. في سوق هذه المدينة (في كل ساعة ممتلئ بالناس) يقول جغرافينا يتم الدفع بتبر الذهب.[٦٦] بنيت أودغست في سهل رملي في سفح جبل فقير إلى النباتات، المدينة محاطة بالحدائق وأشجار النخيل.[٦٧] هذه المدينة التي كشف آثارها (ب.لافورڤ) سنة ١٩٣٩ تقع في القسم الجنوبي من موريتانيا الحالية في شمال شرق كيفا في اتجاه تيشيت على هضبة ركيس. في هذه الناحية التي بحث (م.دولافوس) سابقًا عن موضعها.[٦٨]

تبعًا للبكري الطريق التي تمر براس الماء (قريبة من موضع تومبوكتو) وبمدينة تيركا (تيريكا) والتي نجهل موضعها بالضبط تربط مدينة غانا بقبيلة سَغْمارا البربرية التي تشغل المجال الواقع شمال مجرى النيجر الأوسط مقابل مدينة كَوْكَوْيعني ڤاو.حسب البكري ارتحل من ضواحي تومبوكتوإلى ڤاوعبر نهر النيجر في سفينة.[٦٩] هذه المعلومة أكدها ابن بطوطة الذي سلك هذا الطريق في القرن الرابع عشر الميلادي.[٧٠] من خلال تحفة الملوك لابن زنبال كتاب عربي من القرن الخامس عشر الميلادي والذي فيه استعمل المؤلف معطيات القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي.[٧١] هذا دون شك عبر هذا الطريق تتجه نحو مدينة ڤاو (في النص جوجو أو كوكو) القوافل المنطلقة من المغرب عبر سجلماسة. من الممكن أن يكون الطريق نفسه الذي أراد أن يسلكه في بداية القرن التاسع الميلادي الأمير الرستمي أفلح بن عبد الوهاب في مشروع رحلته إلى ڤاو، والذي يصرف تجار تاهرت الذين يمرون بهذه المدينة إلى السودان الغربي نحو٧٨٠م مثلما قلت سابقًا.[٧٢] نضيف أيضًا أن وجود طريق تجاري يربط مدينة ڤاو بمدينة سجلماسة وتاهرت (المراحل: أودغست ومن المحتمل غانا) مؤكدًا أيضًا بموضع من كتاب ابن حوقل رحالة وجغرافي زار هذه البلدان في ٩٥١م. من خلال هذا الموضع كان ملك أودغست في هذه الفترة في علاقات مع ملوك غانا وڤاو (في النص كوغة، كَوْغَة، ڤوڤة عند ليون الإفريقي) وإليهما يدفع الضريبة.[٧٣] هذه الوضعية للملك الصنهاجي لأودغست (الذي تتبع دون شك سياسة أسلافه مثلما يستخلص من رواية اليعقوبي في موضوع العلاقات بين صنهاجة وملك ڤاو) كانت مرتبطة بصفة ضيقة مع السياسة الاقتصادية لملوك أودغست الذين اهتموا بتطوير التجارة بين ڤاو وسجلماسة وبين غانا وسجلماسة والتي فيها لعبت عاصمتهم دور جد هام.

بجانب هذا الطريق هناك طريق آخر يعبر في الفترة الرستمية الصحراء شرق طريق تاهرت– سجلماسة– أنبية– أودغست– غانا، لمراحل هذه الطريق هي: واحة ورڤلة في شمال الصحراء والمدينة التجارية تادمكت (اليوم آثار السوق) في جنوب هذه الصحراء شمال شرق ڤاو. هذا الطريق الذي نعرف روابطه بفضل الجغرافيين العرب من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلادي الذين مروا عبر مدن تنس، مليانة، المسيلة، وكذلك عبر إقليم الزاب عبر واحة طبنة وبسكرة[٧٤] متجهين نحو واحة واركلان أو وارجلان (ورڤلة) والذي كان مكان آهل بعدة مجموعات بربرية إباضية ومركز تجاري هام له دور كنقطة انطلاق للقوافل المتجهة من شمال إفريقيا نحوالسودان الغربي،ويمكن مقارنته مع مركز سجلماسة على الطريق التجاري تاهرت- غانة .من خلال الإدريسي (١١٥٤م) نجد مسيرة ١٢ مرحلة من المسيلة إلى ورڤلة.[٧٦]هذه الطريق تمر على الأرجح عبر واحات وادي ريغ (أريغ في المصادر الإباضية) التي فيها إقبال كبير على التجارة مع السودان والتي تمارس عبر هذا الطريق. انظر ما قاله الإدريسي حول دور ورڤلة في تجارة شمال إفريقيا مع السودان:

"وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية..."[٧٧] (الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص:١٢١).

ليس هناك أي شك أن هذه العلاقات التجارية لورڤلة مع السودان الغربي موجودة قبل القرن التاسع الميلادي في زمن الأئمة الرستميين في تاهرت أين امتدت سلطتهم على إباضيي ورڤلة. نجهل تقريبًا كل العلاقات المبنية من طرف سكان هذه الواحة مع مدينة تاهرت تحت حكم الرستميين. نرى هنا أنه يوجد قبل سنة (٧٨٥/٧٨٤) عالم إباضي يسمى أبو يعقوب يوسف السدراتي الأطرافي الوارجلاني أصله من تين إمصيوين، موضع يقع في واحة ورڤلة، درس في تاهرت عند الإمام عبد الرحمان بن رستم.[٧٨] بعد سقوط مملكة تاهرت التي احتلتها الجيوش الفاطمية في سنة ٩٠٩ م، تحصن بورڤلة آخر إمام إباضي يعقوب بن أفلح. انظر ما قاله في هذا الموضوع المؤرخ الإباضي أبوزكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني في كتابه كتاب السيرة وأخبار الأئمة (بداية ق١٢م):

(وحدث غير واحد من أصحابنا أن الحجاني (أبو عبد الله الشيعي)،[٧٩] لما سار إلى تاهرت خرج يعقوب بن أفلح في خيل من أصحابه.... فتبعهم عساكر العدو. فمضى يعقوب وأصحابه إلى

وارجلان... وذلك على عهد أبي صالح بن جنون بن يمريان، فتلقاهم أبو صالح في جمو من أهل وارجلان فأدخلوه وأكرموه وأحسنوا القيام به، فطلبوه أن يولوه على أنفسهم فامتنع من ذلك...ومكث فيهم دهرًا طويلاً...)[٨٠]

هذا دون شك خلال حكم الأئمة الرستميين تم تأسيس مدينة سدراتة في واحة ورڤلة (اليوم آثار سدراتة) وكذلك سُميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة بربرية تحمل الاسم ذاته.[٨١] وقد جاء ازدهارها دون شك من التجارة بين تاهرت وڤاو. نضيف كذلك أن وارجلان كانت في هذه الفترة مرحلة على الطريق الذي يربط مدينة توزور (في الجنوب التونسي) مع مدينة سجلماسة. وعبر هذه الواحة اتجه نحو سجلماسة عبيد الله مؤسس عائلة الفاطميين بعد وصوله إلى المغرب نحو نهاية القرن التاسع الميلادي.[٨٢]

تجار تاهرت الراغبين في السفر من ورڤلة إلى السودان يتجهون نحو مدينة تادمكت الواقعة في المنطقة الجبلية لأدرار إيفوغاس[٨٣] على الحافة الجنوبية للصحراء (اليوم الآثار الواسعة للسوق). تبعد هذه المدينة عن ورڤلة بمسيرة خمسين يومًا في الصحراء. وجدنا هذه المعلومة عند البكري (نحو١٠٦٨)[٨٤] الذي أعطانا كذلك وصف مهم لتادمكتو الذي نسمح لأنفسنا هنا بالاستشهاد به: "إنها مدينة كبيرة محاطة بالجبال والوديان وأحسن بناء من غانة وكَوْكَوْ. سكانها بربر مسلمون يشبهون كثيرًا بربر الصحراء حيث يتغذون على اللحم واللبن ونوع من الحبوب تنتجه الأرض دون زراعته. الذرة ومحاصيل نباتية أخرى تأتيهم من بلاد السودان. لباسهم من القطن أو مواد نسيجية أخرى، مصبوغة بالأحمر. يلبس الملك شاشية حمراء، قميص أصفر وسروال أزرق، الدنانير الرائجة عندهم من الذهب الخالص وتسمى "الصلعاء" لأنها غير مختومة".[٨٥]

ابن حوقل نفسه الذي زار الصحراء نحو منتصف القرن العاشر الميلادي حدثنا عن ملوك تادمكت. قال أن سكان هذه المدينة "من أصول زنجية.... ثم أصبحت بشرتهم بيضاء بسبب قربهم من الشمال وبعدهم عن أرض كوكو(ڤاو)".[٨٦] ويعلم ابن حوقل كذلك أن سكان تادمكت خلقوا علاقات مع إفريقيا الشمالية من جهة ومع مدينة ڤاومن جهة أخرى.

نعلم بفضل ابن حماد مؤرخ عربي القرن الثالث عشر الميلادي أن تادمكت موجودة سلفًا نحو نهاية القرن التاسع الميلادي والتي تمثل في هذه الفترة مركز تجاري ضخم على الطريق المؤدي من إفريقيا الشمالية إلى ڤاو. هنا ومن أب تاجر أصله من تقيوس (غير بعيد عن الجنوب التونسي) كان يذهب ويعود إلى السودان من هذه المدينة ومن آمة أصلها من تادمكت، ولد الشيخ الإباضي المستقبلي أبو يزيد مخلد بن كيداد الذي أقام تبعًا اتصالات عن طريق والده في مدينة كوكو،[٨٧] دون شك أن هذه الاتصالات ربطت جنوب تونس مع تادمكتوڤا وعبر ورڤلة خلال القرن التاسع الميلادي.

حسب البكري مسيرة تسعة أيام تفصل بين مدينة تادمكة وكوكو.[٨٨] وجدنا أقدم وصف لهذه المدينة عند الجغرافي العربي المهلبي (ق١٠م)، في موضع من كتابه استشهد به ياقوت الحموي (بداية ق ١٣م) في معجمه الجغرافي. من خلال هذا الوصف عاصمة مملكة ڤاو (في النص كوكو) تتكون من مدينتين منفصلتين الأولى تقع على الضفة الشرقية للنيجر (في النص النيل) والمسمى "سارنات" وتمثل مركز تجاري هام يزوره التجار الذين يأتون من كل البلدان أين تتواجد الأسواق بينما تقع الثانية في الجهة الغربية للنيجر وتمثل إقامة الملك. بين هاتين المدينتين يوجد المسجد. الملك وقسم من سكان هاتين المدينتين يدينون بالإسلام. إنه من المهم هنا أن الملح الذي يمثل على وجه الخصوص قوة الملك يحفظ في الخزائن.[٨٩]

حسب البكري الذي وصف لنا كذلك مدينة ڤاو يقول أن قضبان الملح تستخدم مثل العملة. يستخرج هذا الملح من مناجم طَوْطَاك (طوطاك أوممكن تيطوك) على مسيرة ١٥ يومًا من هذه المدينة، هذه الحمولات تمر عبر مدينة تادمكتو التي فيها أهمية تجارية كبيرة لڤاو خلال القرن الحادي عشر الميلادي. أعاد البكري المعلومة التي عرفناها سابقًا من خلال كتاب المهلبي حول المدينتين اللتين شكلتا عاصمة ڤاو.[٩٠]

مثلها المصادر العربية وخاصةً الإباضية تحدثنا حول العلاقات بين مدينة تاهرت ودول غانا وڤاو في نهاية القرن الثامن وإلى القرن التاسع الميلادي من زمن حكم الرستميين. هذه المعلومات على تفصيلاتها القليلة تمكننا من الرجوع على الأقل بقرن إلى أصول العلاقات التجارية بين إفريقيا الشمالية والسودان في الفترة الرستمية، علاقات بدأ معها التاريخ حسب رأي عالم مثل ماركار وبوفيل فقط في القرن التاسع الميلادي. يظهر من هذه المعطيات أن حضور التجار المسلمين معروف في المصادر العربية خاصةً القادمين من تاهرت والمتخصصة غالبًا أو على الأقل للإباضية، ولم يكن التجار المسلمين الأوائل الذين وصلوا إلى السودان الغربي منذ فتح العرب للمغرب. في الواقع يمكن أن نقول أن تجار تاهرت الذين وصلوا إلى السودان الغربي في ٧٨٠م سُبقوا إلى أسواق غانا، ڤاو، ومدن أخرى من هذا البلد من طرف تجار مسلمين جاءوا من مدينة سجلماسة الصفرية ومن مدن زيز ودرعة (مجاورة لسجلماسة والتي اضمحلت قبل التطور التجاري لهذه الأخيرة)،[٩١] أوعن طريق التجار البربر الذين أصلهم من طاركالا عاصمة السوس الأقصى (في جنوب المغرب الأقصى) مرتبطة حسب ابن الفقيه (٩٠٣م) بمدينة غانا عبر طريق على مسيرة ثلاثة أشهر.[٩٢] لكن دراسة هذا المشكل تتعدى الإطار ولا تنحصر في هذا المقال الحاضر.

الهَوامِشُ:

(١) حول هذا المذهب، يُنظر المقال، وينظر كذلك التراث الأدبي المستشهد به:

al-Ibadiya, Handworterbuch des islam (ed. A.J.Wensinck et J.H.Kramers, Leyde, 1941, pp.179-181.

(٢) حول هذا المؤلف وكتابه، يُنظر:

A.de C. Motylinski, «bibliographie du Mzab. Les livres de la secte abadhite», Bulletin de correspondance africaine, t3, alger, 1885, pp.47-70; T. lewicki, «une chronique ibadite. «kitab as-siyar» d'abu 'l-'Abbas ahmad aš-Šamahi», Revue des études islamiques, 1934, cahier1, Paris, 1934, pp.59-78.

(3) T. Lewicki, «la répartitions géographique des groupements ibadites», Rocznik Orientalistyczny, t.XXI, warszawa, 1957, pp.307-311.

(4) «Chronique d'Ibn Saghir sur les imams rostémides de Tahert» éd. et. Trad. de, A. de,C. Motylinski, Actes de XIV congrés International des orientalistes, Paris, 1908, pp.3-132.(=A. de C. Motylinski, chronique d'Ibn Saghir.

حول ابن الصغير،ُيُنظر كذلك:

T.Lewicki, «les historiens, biograpges et traditionistes ibadites-wahbites de l'afrique du nord du VIIIe au XVI siécle», Folia Orientalia, tIII, Lewicki, Les historiens ibadites.

(5) A. de, C. Motylinski, chronique d'Ibn Saghir, pp.12-13 et p68 (trad).

(٦) حسب ابن خرداذبة جغرافي عربي كتب حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي، تبعد تاهرت بحوالي مسيرة شهر على ظهور الجمال عن مدينة القيروان عاصمة إفريقية، يُنظر:

kitab al-masalik wa 'l-mamalik auctore abu 'l-kasim Obaidallah ibn Abdallah ibn khordadhbeh, éd. M. J. de Goeje, Leyde, 1889, (=Bibliotheca Geographorum Arabicorum, t.VI), texte arabe p.88 et traduction p.63.

عبر هذا الطريق يتجه التجار العرب من البصرة والكوفة نحو تاهرت. يتعلق الأمر خصوصًا وحسب رأيي بالتجار الإباضيين. في الواقع نعلم أن العنصر الإباضي كثير وجدّ نشط في هاتين المدينتين خلال القرن الثامن الميلادي.

يُنظر في هذا الصدد المقال:

al-Ibadiya, Handworterbuch des islam (ed. A.J.Wensinck et J.H.Kramers), P.179.

(7) E. W. Bovill, The Golden Trade of the Moors, London, 1958; Die Benin Sammlung des riechsmuseums für Völkerkunde in leiden, beschriebenen und mit ausführlichen Prolegomena zur Geschichte der handelswege und Völkerbewegung in nordafrika, versehen von jos. Marquart, Leyde, 1913, (=Marquart, Die Benin-Sammlung), p.CXXVII et passim.

(8) Maçoudi, Les prairies d'or. Texte et traduction par C. Barbier de Meynard, t.IV, Paris, 1885 (= al-Mas'udi, Prairies d'or), pp.37-40. Selon C. Brocklmann (Geschichte der arabischen Literatur, Weimar-Berlin, 1898-1902 (=Brmcklmann GAL), t.I, p.220 et supplém, leyde, 1937-1942 (=Brocklmann, Suppl.), t.I, p.391,

أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري ترجم على الأرجح في سنة ٧٧٣م مؤلف هندي معنون بـ "سند هند" خلال حكم الخليفة العباسي المنصور (ت. ٧٧٥م). نجهل إذا كانت القطعة التي استشهد بها المسعودي جاءت من هذه الترجمة أو على الأرجح من مؤلف جغرافي آخر للفزاري. هذا المؤلف الافتراضي تم تأليفه في عهد إدريس الأول مؤسس السلالة الإدريسية في المغرب الأقصى (٧٨٨-٧٩٣) والذي لقب في القطعة الموجودة عند المسعودي (ص٣٩) (ملك الدولة الإدريسية). شخصية أخرى ذكرت في الوثيقة لا ندري هل هو عبد الرحمان بن معاوية حسب الفزاري إليه تنسب مملكة إسبانيا أم الأمير الأموي عبد الرحمان الأول الذي حكم إسبانيا (من ٧٥٦م إلى ٧٨٨م). من خلال ما سبق نستنتج أن معلومات الفزاري حول الوضعية السياسية للغرب الإسلامي الوسيط مؤرخة بسنة ٧٨٨م. كذلك ودون شك هذه السنة كانت بعد أن ألّف الفزاري الكتاب الذي استشهد المسعودي بقطعة منه تقع محل اهتمامنا.

(9) Marquart, Die Benin-Sammlung, p. CXXXVIII أراضي مملكة. ولوف

(10) Al-Mas'udi, Les Prairies d'or, t. IV, p. 39.

(11) G. Nachtigal, sahara und sudan, t.II, Berlin, 1881, pp.426 et 495.

مدينة نجالة التي تقع غير بعيدة عن الضفة الجنوبية لبحيرة تشاد شكلت في فترة معينة حصن قديم، ومركز سياسي للقبيلة السودانية صو (صاو). بعد ذلك تم احتلالها من قبل المكاريين (كوتوكو). في متحف مهم يوجد بنجالة والذي يعود لفترة المكاريين رأى ناختيقال أضرحة ٣٥ ملكًا مكاريًا ينتمون إلى هذه القبيلة.

(12) Al-Mas'udi, Les Prairies d'or, op.cit.

(13) R.Mauny, «État actuel de la question de Ghana», Bulltin de l'Institut Français de l'Afrique noire (=BIFAN), t.XIII, 1951, pp.463-475 ; P. Thomas-sey et R. Mauny, compagne de fouilles a Koumbi saleh, BIFAN, t.XIII, 1951, pp.117-140.

(14) Ibn Wddhih qui dicitur al-Ja'qiTbi, Historiae. Pars prior. Ed. M. Th. Hout-sma, Leyde, I883 (= al-Ya'qiibi, Ta'rah), pp. v-vii; Kitab al-Bolddn auctore Ahmed ibn abi Jakuhb ibn Wadhih al-Kadtib al-Jakuhbi, ed. M. J. de Goeje, Biblio-theca Geographorum Arabicorum, t. VII, 2e ed., Leyde, i892 (= al-Ya'qfbl, Kitab al-Buldan), pp. vII-viII; Brockelmann, GAL, t. I, pp. 226-227 et Suppl., t. I, p. 405.

(15) Al-Ya'q-abi, Ta'rih, p. 220; Marquart, Die Benin-Sammlung, pp. LXXVII-LXXVIII.

(16) Al-Ya'q-abi, op. cit. ; Marquart, op. cit.

(17) Das Kitatb Siurat al-ard des A bil Ca'/ar Muhammad ibn MasJ al-Huwa-rizmi. Hrsg. nach dem handschriftlichen Unikum... von Hans von Mzik, Leipzig, I926, p. 6.

(١٨)يُنظر في هذا الصدد:

Drevnie i srednevehovye istocniki po etno-grafii i istorii narodov Afriki yuzhnee Sakhary. Arabskie istocniki VII-Xvekov. Podgotovka tekstov i perevody L. E. Kubbela i. V. V. Matveeva (Sources anciennes et medievales pour l'ethnographie et l'histoire des peuples de l'Afrique au sud du Sahara. Sources arabes du VIIe-Xe siecles. Edition et traduction de L. E. Kubbel et V. V. Matveev), Moscou-Leningrad, i960 (= Kubbel et Matveev, Sources arabes), pp. 366-367 et 368-369.

(19) Al-Ya'qubi, Ta'rih, p. 200; Marquart, Die Benin-Sammlng, pp. LXXVII-LXXVIII.

(20) Marquart, op. cit., p. CVII-CXXII.

(21) Description de l'Afrique septentrionale par A bou-Obeid-el-Bekri. Texte arabe... publie par... de Slane, 2e ed., Alger, 1911, (= al-Bakri, Description, texte), p.183; Description de l'Afrique septentrionale par el-Bekri traduite par MacGuckin de Slane, edition revue et corrigee, Alger, 19I3 (= al-Bakri, Descrip-tion, traduction), pp. 342-343. Sur al-Bakri, cf. Brockelmann, GAL, t. I, pp. 476- 477 et Suppl., t. I, pp. 875-876.

(22) Description de l'Afrique et de l'Éspagne par Edrisi, texte arabe publié... avec une traduction, des notes et un glossaire par R. Dozy et M. J. de Goeje, Leyde, 1866 (= al-Idrisi, Description), texte arabe, pp. 11-12 et trad., pp. 13-14. Sur al-Idrisi voir Brockelmann, GAL, t. I, p. 477 et Suppl., t. 1, pp. 876-877.

(23) Voyages d'Ibn Batoutah, texte arabe, accompagne d'une traduction par C. Defrémery et B. R. Sanguinetti (= Ibn Battuta), t. IV, pp. 435-436. Sur Ibn Battuata, voir Brockelmann, GAL, t. II, pp. 256-257 et Suppl., t. II, pp. 365-366. Ibn Battuita a visite la ville de Gao en I353.

(24) Ibn Battuta, t. IV, pp. 426 et 435.

(25) Ibid., p. 122.

(٢٦)كتب الإدريسي كذلك اسم المدينة الألمانية Augsburg أوزبورك:

cf. T. Lewicki, La Pologne et les pays voisins dans le «Livre de Roger» de al-Idrisi, geographe arabe du XIIe siecle, t. I, Krakov, 1945, p. 116) et celle de la ville polonaise Gniezno ğinazna (ibid., p. 113.

(٢٧)على سبيل المثال نجد عند الإدريسي اسم المدينة الإيطالية -Poli castro كتبها بولي كاشترو. (Lewicki, op. cit., t. I, pp. 117-118).

(٢٨)حول هذا الكاتب، يُنظر: Brockelmann, Suppl., t. 11, p. 710.

(29) Description de l'Aftique tierce partie du monde escrite par Jean Leon African, nouvelle edition annotee par Ch. Schefer, t. III, Paris, I898, pp. 298 et 301
(30) Marquart, Die Benin-Sammlung, pp. LXXVI-LXXVIII et passim (cf. aussi index s. v. Gogo); H. Barth, Reisen und Entdeckungen in Nord- und Central- Afrika, Gotha, I857-I858, t. IV, pp. 6oi, 605, 607 et t. V, pp. 216, 236.
(31) Tbn Khaldoun, Histoire des Berbe'res et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale, traduite de l'arabe par 1I baron de Slane. Nouvelle edition publiee sous la direction de Paul Casanova, Paris, 1925-1956 (= Ibn Haldun, Histoire), t. III, pp. 301 et passim.
(32) Lewicki, Les historiens ibadites (sous presse); La répartition geogra-phique des groupements ibadites, pp. 304-305.

(٣٣)حول الدرجيني وكتابه، يُنظر:

T. Lewicki, «Notice sur la chronique ibadite d'ad-Dargini», Rocznik Orientalistyczny, t. XI, pp. 146- 172. Cf. aussi Lewicki, Les historiens ibddites (sous presse).
(34) Lewicki, Notice sur la chronique ibadite d'ad-Dargini (passim).
(35) Al-Wisyani, Kitab as-Siyar, ms. n 277 de l'ancienne collection de Lwow, P. 59.
(36) Ad-Dargini, Kitab Tabaqat al-masaiyih, ms. no 275 de l'ancienne collection de Lwow, f 92 V.
(37) Voir ci-dessus, p. 520.
(38) Relatio Ibrahim ibn Ja'kub de itinere slavice, quae traditur apud al- Bekri. Edidit, commentario et versione polonica atque latina instruxit T. Kowal-ski, Krakow, 1946, pp. 72-73.
(39) Al-Bakri, Description, texte, pp. 181 et 183.
(40) M. Delafosse, Haut-Senegal-Niger (Soudan Franfais), Paris, 1912, t. II, pp. 67, 71, 72 et 240-241; J. Rouch, Les Songhay, Paris, I954, pp. 8-9.
(41) Marquart, Die Benin-Sammlung, p.CXVI; Y. Urvoy, Histoire des populations du Soudan Central (Colonie du Niger), Paris, 1936, pp. 137-153.
(42) Marquart, op. cit., pp. CIX-CXVI; Kubbel et Matveev, Sources arabes, p. 372.
(43) Marquart, op. cit., pp. CXVI-CXVII.
(44) Sur ce sujet voir ci-dessous, p. 527.
(45) A. de C. Motylinski, Chronique d'Ibn Saghir, pp. 31-35 (texte arabe) et pp. 91-97 (traduction.)
(46) Ibid., p. 31 (texte arabe), et pp. 91-92 (traduction.(
(47) Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldan, pp. 359-360.

(٤٨)حول هذا الكتاب، يُنظر:

Brockelmann, GAL, t. I, p. 229 et Suppl., t. I, P. 408.
(49) Viae regnorum. Descriptio ditionis moslemicae auctore Abu Ishak al- Edrisi al-Istakhri, ed. M. J. de Goeje (Bibliotheca Geographorum Arabicorum, t. I), 2e éd., Leyde, 1927, pp. 39 et 46.
(50) Ibid., p. 39.
(51) Al-Bakri, Description, texte, pp. 148-149 et trad., pp. 283-284.
(52) Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldln, p. 360.

(٥٣)حول سجلماسة، يُنظر:

H. Fournel, Les Berberes, t. 11, Paris, 1881, pp. 22-25 et G. S. Colin, article «Sidjilmasa», Enzyklopddie des Islam, t. IV, pp. 432-434.
(54) Al-Bakri, Description, texte, p. I50 et traduction, pp. 286-287; lbn Haldun, Histoire, t. I, pp. 262-263; Fournel, op. cit., t. 11, p. 24.
(55) Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldan, p. 360.
(56) Al-Mas'udi, Prairies d'or, t. IV, p. 39.
(57) Ibn al-Faqlih, Kitab al-Bulddn, ed. M. J. de Goeje, Leyde, 1885 (= Bibliotheca Geographorum Arabicorum, t. V), p. 81.
(58) Marquart, Die Benin-Sammlung, pp. CCXXXIV-CCXXXV.
(59) Al-Ya'qubi, Kitab al-Buldan, p. 360.
(60) Opus geographicum auctore Ibn Haukal..., ed. J. H. Kramers, Leyde, 1958 (= Ibn Hawqal, Kitab Surat al-ard), t. I, p. 99. Sur Ibn Hawqal voir Brockelmann, GAL, t. I, p. 229 et Suppl., t. I p. 408.
(61) Ibn Hawqal, Kitab Sirat al-ard, t. I, p. 93.
(62) Al-Bakri, Description, texte, p. 168 et trad., p. 317.
(63) Al-Idrisi, Description, texte arabe, p. 32 et trad., p. 38.

(٦٤)هذه القطعة من كتاب المهلبي موجودة في تقويم البلدان لأبي الفداء (ق١٦م):

Cf. Geographie d'A boulfdda, texte arabe publi... par M. Reinaud et ... de Slane, Paris, 1840, p. 125 ; Geographie d'A boul-feda traduite de l'arabe en francais... par M. Reinaud, t. II, 1re partie, Paris, 1848, pp. 174-175. Sur al-Muhallabi voir I. Ju. Krackovskij, Izbrannye socine-nija. T. IV: Arabskaja geograficeshaja literatura (CEuvres completes, t. IV: La litterature geographique arabe), Moscou-Leningrad, 1957, pp. 234-236, et sur Abu 'I-Fida' voir Brockelmann, GAL, t. 11, pp. 44-46 et Suppl., t. II, p. 44.
(65) Al-Bakri, Description, texte, p. 159 et trad., pp. 301-302.
(66) Ibid., texte, p. 158 et trad., p. 300.
(67) Ibid., op. cit.
(68) Delafosse, Haut-Sene'gal-Niger, t. II, pp. 29-32; voir aussi P. Laforgue, "Notes sur Aoudaghos", ancienne capitale des Berberes Lemtouna #, BIFAN, t. II, I940, pp. 217-236.
(69) Al-Bakri, Description, texte, pp. 18o-181 et trad., pp. 337-338.
(70) Ibn Battuta, t. IV, p. 426.
(71) E. Fagnan, Extraits inedits relatifs au Mahgreb, Alger, 1924, p. 178. Sur Ibn Zanbal, voir ibid., p. 121.
(72) Voir ci-dessus, p. 523.

(٧٣)الطريق التي تربط تاهرت بإقليم الزاب في زمن الرستميين تمر عبر بلدان مأهولة في الأغلب بقبائل بربرية إباضية "عند اليعقوبي بدلاً من الإباضية نقرأ الشراة وهو اسم آخر لهذا المذهب"، دون شك ترتبط نوعا ما بمملكة تاهرت وقد عرفت على الأقل أجزاء منها السلطة الأغلبية، أمراء مملكة البربر الشرقية، في هذا الصدد يُنظر: al- Ya'qabi, Kitab al-Buldan, pp. 352-353. عرفنا هذا الطريق بفضل وصف ابن حوقل الذي يبدو أنه زار البلد في منتصف القرن ١٠م، نصف قرن فقط بعد سقوط مملكة تاهرت الرستمية

(74) Ibn IHawqal, Kitab Siirat al-ard, t. 1, pp. 88-89.
(75) Al-fdrisi, Description, texte arabe, p. 120 et trad., p. 141.

(٧٦)حول أهمية وادي ريغ يسمة أحيانا من قبل المؤلفين العرب القدامى "بلد ريغة" من اسم قبيلة زناتية تحمل هذا الاسم، يُنظر:

Ibn Haldun, Histoire, t. III, p. 275.

سكان هذا البلد البربر دخلوا قديما في الإباضية كما هو مستنتج من بعض الإشارات الواردة عند المؤلفين الإباضيين القدامى. طريق القافلة الرابط بين بسكرة والصحراء الوسطى والذي يجتاز توقرت، المركز الحالي لوادي ريغ، موجود سلفا في الفترة الرومانية غير أنه خلال هذه الفترة يبدو أقل تواصلا مع طرق غدامس وفزان. على الأرجح عبر هذا الطريق تم نقل في الهقار الغربي خلال القرن الرابع الميلادي الآثار الروامنية المكتشفة في الموقع المشهور تين هنان قرب أبالسة. حول هذه المسألة، يُنظر:

E. Demon-geot," Le chameau et l'Afrique du Nord romaine ", Annales, 15e annee, n 2, mars-avril 1960, p. 240 et carte du Sahara oriental (entre pp. 232 et 233.)

ليس من المستحيل أن تكون جذور ورقلة (عند المؤلفين العرب القدامى واركلان أو وارجلان) مركز تجاري رئيسي يقع على طريق بسكرة-توقرت-الصحار الشرقية، مرتبطة بازدهار التجارة الروامنية والبيزنطية في هذه النواحي. نتساءل إذا كان الشعب الإفريقي Urcilliani الذين ذكرهم:

Vegece, Epit. Rei Militaris, III, 23

كملاك جمال ويستعملون هذه الحيوانات في حروبهم وأنهم لا يشبهون الواركلانيين.

(77) Al-Edrisi, Description, texte arabe, p. 121 et trad., p. 141.
(78) Al-Wisyani, Kitab as-Siyar, Mns. n 277 de l'ancienne collection de LwOw, p. 140.

(٧٩)أبو عبد الله الشيعي مبعوث وقائد فاطمي احتل تاهرت في ٩٠٩م: (Fournel, Les Berberes, t. 11, p. 90). اثنية الحجاني(الجحاني؟) وظفها أبو زكرياء للإشارة إلى هذا المبعوث والذي اشتق على الأرجح من اسم جبل أنكجان أو إيكجان (شمال غرب جميلة في نواحي

سطيف) والذي مثل موطنه الأول خلال الفترة الأولى من نشاطه بالمغرب حول موضع وتسمية الجبل ينظر:

Fournel, op. cit., t. 11, p. 53

(٨٠)نشر تاريخ أبو زكرياء لأول مرة مترجم ومعلق عليه من قبل E. Masqueray, Alger, 1878, pp. 251-257. يُنظر كذلك: Ibid., p. 211.
نستشهد بهذه الرواية من خلال هذه الترجمة (في الواقع رديئة جدًا) حيث نصحح فقط كتابة أسماء الأعلام ذات الأصل العربي.

(٨١)بخلاف G. Marçais الذي خصص لسدراتة بعض الصفحات في كتابه:
Manuel d'art musullman (t. 1, Paris, 1926, pp. 81-91).
أعتقد أن هذه المدينة موجودة سلفًا في القرن التاسع الميلادي وليس فقط في القرن العاشر الميلادي، مثلما يراه هذا العالم. في الواقع الجند البربري المنتمي لقبيلة سدراتة والذي شارك في الحملة العسكرية المنظمة من قبل الفاطمي عبيد الله (٩٠٩-٩٣٤) في بداية حكمه ضد واحة ورقلة، كانوا إخوة سكان عاصمة ورقلة والذين ينتمون كذلك لهذه القبيلة. هذا ينتج من حكاية رواها أبو زكرياء الوارجلاني، يُنظر:

Chronique d'Abou Zakaria, trad. Masqueray, pp. 221-223.

(82) Chronique d'Abou Zakaria, trad. E. Masqueray, pp. 209-210.

(٨٣)حول تادمكت (تادمكة)، يُنظر:

Barth, Reisen und Entdeckungen in Nord- und Central-Afrika, t. V, pp. 459 et passim; Richer, Oullemiden, p. 47; Delafosse, Haut-Senegal-Niger, t. II, p. 69.

(84) Al-Bakri, Description, texte, p. 182 et traduction, p. 340.
(85) Ibid., texte, p. 181 et trad., p. 339.
(86) Ibn Hawqal, Kitab Surat al-ard, t. I, p. 105.
(87) Histoire des rois 'obaidides (les califes fatimides), par Ibn Hammad, éd. et trad. M. Vonderheyden, Alger-Paris, 1927, texte arabe, p. 18 et trad. pp. 33-34.
(88) Al-Bakri, Description, texte, p. 183 et trad., p. 342.
(89) Jacut's geographisches Wörterbuch... hrsg. von F. Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1870, t. IV, pp. 329-330.
(90) Al-Bakri, Description, texte, p. 183 et trad., pp. 342-343.
(91) Marquart, Die Benin-Sammlung, p. CXXIII-CXXIV et passim.
(92) Ibn al-Faqih, Kitab al-Buldan, ed. M. J. de Goeje, pp. 81, 84 et 87; Marquart, op. cit., p. CXXIV.